الباب الثالث

علم نفس اللغة ووجهات نظر

obeikandl.com

obeikandl.com

علم نفس اللغة

هذا العلم، علم اللغة النفسي، أو علم النفس اللساني/اللغوي، يدرس علاقة اللغة بالعقل ويتطرق إلى لغة البشر الطبيعية وتعريفات هذا العلم شائعة ويُعتبر هذا العلم من أحدث الفروع اللغوية المعاصرة وتعود بدايته إلى منتصف القرن العشرين في أمريكا وسرعان ما عمّ وانتشر في بلدان العالم وهناك لغويون كثيرون يرون أن لظهور نظرية التوليد التحويلية ,فى اللغة لدى نعوم تشومسكي الفضل في نشأة علم اللغة النفسي الذي يبحث في العلاقة ما بين اللغة والعقل أو النفس البشرية تلك النظرية التي بحثت مبنَيَي الجملة، العميق والسطحي، عقّدت الصلة بين التحليل اللغوي ونظرية التعلم والمعلومات ويرى تشومسكي مثلا أن العلاقة الشرطية بين المثير والاستجابة غير صالحة لتفسير قدرة الانسان على التكلم في اعتقاده لدى الطفل مَلَكة أو قدرة أو قابلية فطرية تعينه على تعلم اللغة كقرع الشفتين عند ابن خلدون من خلال السماع وتكوين قواعد اللغة والقياس عليها لاحقاً يُطلق عادة على هذه الفطرة أو مَلَكة اللغة اسم نظرية فطرية للقواعد اللغوية العالمية في مخّ الطفل، وقد سمّاها اللغوي تشومسكي أداة/جهاز اكتساب اللغة المتشكل في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل يولد الطفل مُبرْمجا كالحاسب بهذه الآلية الرئيسية المشتركة لدى بني البشر عامّة يُذكر أن هذه الآلية تولد في السنوات الأولى لحياة الطفل ما يمكن تسميته بـالقواعد الداخلية في سنّ السادسة تقريباً يكون الطفل قد سيطر على مبادئ لغته وبهذا الإنجاز تتحقق مرحلة هامّة جداً من التطور النفسي

لديه ويوجد بعض أوجه شبه بين الوضع الذي يتعلّم فيه الطفلُ الكلامَ وبين اللغوي الباحث في اللغة وكل محاولات الكبار في تصحيح طريقة تلفظ الصغار ببعض الكلمات تذهب أدراج الرياح لأن الأوائل بواد والأواخر في آخر الأطفال يبنون لغتهم بجد ونشاط.

وتمثّل العلاقة بين الأفكار والجمل المشكلة الرئيسية لعلم اللغة النفسي، إنها معضلة المعنى، وعلم الدلالة يفسر جمل معينة على مبناها النحوي من جهة ومعنى كل عنصر في الجمل من الجهة الثانية لابدّ من التنويه أن معاجم اللغات البشرية كلها ليست كاملة ولا تدلّ على مبنى اللغة وفلسفتها.

معلوم أن هذه اللغة ذات سمات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية مغايرة مقارنة بلغة البالغين وفترة ما قبل الصف الأول هي الفترة الذهبية بالنسبة للنمو اللغوي لدى الإنسان؛ تنمو اللغة جنباً إلى جنب مع النمو العقلي وهي عامل أساسي في تطوره وتطوّر الطفل يتوقّف على تطوّر لغته فللغة دوراً مركزياً في عملية التربية ويمكن القول إن اللغة لا تعبّر عن التواصل والأفكار فقط بل عن العواطف والرغبات والأهداف وأمور كثيرة أخرى أكثر عمقاً.

في سن الثامنة من العمر يصل الطفل عادة إلى مستوى الراشدين من حيث النطقُ وفي العاشرة يصبح مستوى النحو لدى الفتى ناضجاً كالكبار في مجال ألفاظ الدلالة، المعجم، تستمرّ عملية التعلّم والنمو والتطوير حتى نهاية العمر فقد أظهرت بعض الاختبارات أن تعلّم عدّة لغات في السنوات العشر الأولى من

عمر الطفل يعرقل النمو الفكري لذا يفضّل اكتساب لغة الأم والتمكن منها أوّلا وبعد ذلك يمكن الشروع فى تعلم لغات أخرى.

سيكولوجية تعليم اللغة أجنبية

لا خلاف في وجود علاقة وطيدة تقوم بين اللغة والجوانب النفسية في حياة الإنسان لأن اللغة لا غنى عنها في جميع الأنشطة العقلية والنفسية لدى الإنسان فعملية التفكير على سبيل المثال لا تحدث بدون اللغة إذ أنها هي التي تشكل أداة لهذه العملية ووسيلة لإبراز نتائجها بل ان النمو العقلي لدى الإنسان يتواكب دوماً مع النمو اللغوي لأن القدرة على التفكير التي تمثل النمو العقلي لدى الإنسان تعتمد إلى حد كبير على اللغة فاللغة لها وسيلة وتقدم لها ألفاظا وتعاريف تستمد منها وتستند إليها في آن واحد.

هذه العلاقة الوطيدة بين اللغة والجوانب العقلية والنفسية لدى الإنسان تفرض أن تعليم اللغة وتعلمها، يجب أن يراعي عوامل نفسية ولغوية وتعليمية وتعليم اللغات الأجنبية ليس استثناء فاتصالنا بهذه اللغة يعطي مجالاً لظهور المشكلات النفسية إلى جانب المشكلات اللغوية والثقافية مما يعني أن أي محاولة لتعليم لغة أجنبية لا بد أن تراعي هذه الجوانب النفسية وتذلل مشكلات التعليم المترتبة عليها ومن هذا الاتجاه جاءت فكرة تناول أهداف الجوانب السيكولوجية التي لا بد من مراعاتها في تعليم اللغة الأجنبية.

هل نعلم لغة ثانية للأطفال قبل السادسة؟

لا شك أن اللغة الإنجليزية هي أكثر اللغات انتشارا في العالم. حيث إن شخصا من كل أربعة أشخاص في العالم يستطيع التحدث باللغة الإنجليزية فهي اللغة الرئيسة في التجمعات السياسية الدولية، ونظراً لهيمنة اللغة الإنجليزية على جميع المجالات، يزداد عدد الراغبين في تعلمها ولا يوجد دولة في العالم لا تدرس اللغة الإنجليزية في مدارسها وجامعاتها وصاحب تغلغل اللغة الإنجليزية وانتشارها في جميع مناحي الحياة ظهور الكثير ممن ينادي كتابها بضرورة تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال في سن مبكر وصاحبه رغبة الكثير من الآباء في تعليم أبنائهم اللغة الإنجليزية منذ نعومة أظفارهم فنمهم من يحرص على وضع أبنائه في رياض أطفال خاصة ومدارس خاصة حتى يتعلموا اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، ثم مالبثوا أن أصبح الشغل الشاغل للكثيرين هو في أي سن يبدأون تعليم أطفالهم اللغة الإنجليزية وما تأثير تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال على تعلمهم للغة العربية؟

أظهرت نتائج الدراسات التي أجريت ضرورة تعلم الأطفال اللغة العربية في مرحلة الروضة قبل الانتقال إلى تعلم اللغة الإنجليزية في المراحل اللاحقة، لأهمية اكتساب الأطفال للمفردات والمفاهيم باللغة العربية والنطق السليم للكلمات العربية وأظهرت نتائج العديد من الدراسات أهمية إتقان الأطفال للغة الأم قبل تعلمهم للغة الأجنبية فقد أشارت جالاجر إلى أن قيام المدارس الدولية بوضع الأطفال الصغار في برامج الطفولة المبكرة دون دعم من اللغة الأم له

آثار سلبية على الأطفال وأشار دولسون إلى أن تعلم الأطفال للغتهم الأم من شأنه أن يساعدهم في بناء الأساس الأكاديمي الذي سيساهم في نجاحهم الدراسي والمهني في المستقبل كما أظهرت نتائج دراسة أجراها واجنر على ١٨٦ طفلاً لغتهم الأم هي البربرية ولغتهم الثانية هي العربية، أن القدرة على القراءة باللغة الأم تشكل القاعدة الهامة التي يبني عليها الطفل مهارات القراءة باللغة الثانية وأظهرت نتائج دراسة أجراها ديرجونوجلو على ٤٦ طفلاً في الصف الأول أن القدرة الجيدة على القراءة باللغة الأم قد انتقل أثرها وساعدت على تنمية قدرتهم على القراءة باللغة اللغة الثانية.

لذا ننصح بعدم تعليم أبناءنا لغة ثانية فى سن مبكرة ونتمنى إلغاء تعليم اللغة الأجنبية الثانية فى مرحلة التعليم الأساسى أو الابتدائى حتى يتمكن أبناؤنا من الإلمام بالعربية أولاً أو يكون تدريسها فى المراحل الأولى من التعليم اختيارياً.

<u>الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية:-</u>

تكمن مراعاة الجوانب النفسية في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية في استناد عملية وضع منهج تعليم هذه اللغة إلى الأسس النفسية، التي يمكن تعريفها بمجموعة من المفاهيم والحقائق والمبادئ المستقاة من نتائج دراسات علم النفس فيما يتصل بتعلم اللغة وتعليمها، مثل: العلاقة بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية، والدوافع، والاتجاهات، والعوامل الشخصية ودورها في

تعلم اللغة الثانية يتضح من هذه الأسس أن هناك عدة جوانب ينبغي مراعاتها وتوظيفها في مجال تعليم اللغة العربية، وهي:

أولا: جانب إستراتيجية التعلم: يعد هذا الجانب عاملاً ضرورياً في تعليم اللغة العربية إذ أنه يتعلق بما يلجأ إليه المتعلم في تعلمه اللغة ويحتوي على استراتيجيتين أساسيتين، هما المحاكاة وتشكل جانباً أساسياً من عملية اكتساب اللغة والممارسة حيث تمثل الممارسة عاملاً مهماً من العوامل التي تساعد على تثبيت التعلم وفي مجال تعلم اللغة يتضح ذلك في أن الطفل في المراحل الأولى من تعلم لغته الأولى يكرر ما يسمعه مرات ومرات ويتناغى بما يحبه من أصوات وما يستريح له من كلمات.

ثانيا: الجانب النفسي: ولا يقل هذا الجانب أهمية عن الجانب السابق ذكره ويتعلق بنفسية المتعلم الأجنبي عند تعلمه اللغة العربية ويحوى عدة ملامح نفسية يتمثل أهمها في الدافعية وهي القوة النفسية التي تدفع الفرد إلى فعل شيئ والسعي إلى تحقيق أهدافه من وراء ذلك، وهي من العوامل النفسية الأكثر تأثيرا في عملية التعلم. وفي مجال تعليم اللغة الأجنبية تعد الدافعية من العوامل التي تؤثر في نجاح الدارس في عملية التعلم.

وفي عملية تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية تتمثل مراعاة الدوافع في تأكيد وجودها لدى الراغبين في تعلم اللغة العربية وبالتالي تقويتها إذا كانت ضعيفة عن طريق على سبيل المثال إفهامهم أن تعلم اللغة العربية سوف يساعدهم.

الاتجاهات: الجانب التالي من الجوانب النفسية التي ينبغي مراعاتها في مجال تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية هو الاتجاهات والاتجاهات هي حالات استعداد عقلي وعصبي نُظِّمَت عن طريق التجارب الشخصية وتعمل على توجيه استجابة الفرد لكل الأشياء والمواقف التي تعلق بهذا الاستعداد والاتجاهات في مجال تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية تتمثل في مواقف الطلاب الأجانب نحو اللغة العربية وتحدد استعدادهم العقلي والعصبي لتعلم هذه اللغة.

ثالثا: جانب الشخصية: ويعد جانب الشخصية من أهم الجوانب التي لا يمكن تجاهلها في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية إذ أنه يتعلق بشخصية المتعلم ويؤثر على نشاطه التعلمي. ويغطي هذا الجانب عدة خصائص شخصية يأتي أهمها فيما يلي:

١. الفروق الفردية: وتبرز الفروق الفردية جليا في عملية تعليم اللغة وتعلمها إذ إن تعليم اللغة وتعلمها يرتبط بكل جوانب الإنسان ومنها ما يختلف فيه فرد عن غيره.

٢. السن وهو مما تبرز فيه الفروق الفردية بين متعلمي اللغات الأجنبية، لأن اختلاف الأعمار بينهم يجعلهم ليسوا في درجة واحدة من القدرة على تعلم اللغة.

أهداف تعليم اللغات الأجنبية

يهدف التعليم الأجنبي إلى تأهيل المتعلم للتمكن من وسائل التعبير ومعرفة الأدب والثقافة، وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية، وتنمية القدرة على التحليل والتركيب من خلال الاتصال؛ تمكين الطفل من فهم المحيط الاجتماعي والثقافي بسهولة أكثر؛ وتطوير فكر متفتح على الثقافات الأخرى باختلاف تقاليدها وعاداتها؛ وتنمية حب الاطلاع؛ وتيسير الاتصال والتواصل مع الغير؛ توطيد العلاقات بين الأجيال والقدرة على فهم واحترام الفروق الثقافية والاجتماعية بين اللغات؛ تنمية فكرة التسامح والتقارب بين الشعوب وهناك اتجاه يرى أن تعلم الطفل لغة أخرى بجانب لغته الأصلية هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه أما الاتجاه الثاني فيرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام،خاصة في المرحلة تعليم الاساسية، سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية المتمثلة فى اللغة الأم، ويؤكد هذا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ، فهي ليست مفردات وتراكيب نحوية فحسب، إنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها، وما يترتب على ذلك من تأثير على وجدان المتعلم وفي عالمنا العربي، بدأ الحوار حول تدريس اللغة الأجنبية في العديد من ندوات التربية وفي الأوساط العلمية ولدى المهتمين بالتعليم الأجنبي في الجامعات ومؤسسات التعليم المماثلة، ويستطيع المتتبع لهذا الحوار أن يتبين الاتجاهين المشار إليهما آنفاً، إذ يدعو القائلون بالاتجاه الأول إلى التوسع في تعليم اللغة الأجنبية وإدخالها

في مرحلة التعليم الأساسى بل وفي مرحلة رياض الأطفال، في حين يدعو الاتجاه الآخر إلى إلغاء تدريسها في هذه المرحلة أو تأجيل إدخالها إلى السنوات الأخيرة من مرحلة التعليم الأساسي وعلى الرغم من تعارض الاتجاهين المذكورين وصعوبة الأخذ بواحد منهما دون الآخر، فإن الملاحظ أن تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة التعليم الأساسية أضحى أكثر انتشاراً سواء في المدارس الحكومية أو الخاصة ولقد ازداد الاهتمام العالمي في العقود القليلة الماضية بتعليم الصغار لغة أجنبية غير اللغة الأم، وكان ذلك واضحاً في المجتمعات المتعددة ثقافياً ولغوياً مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، من أجل توحيد اللغة والثقافة وتحقيق مبادئ الديمقراطية وتكافؤ فرص التعليم وصاحب تلك الجهود محاولات لحل بعض المشكلات الناجمة عن تعليم أبناء الأقليات، حيث استعانت تلك المجتمعات ببرامج تربوية خاصة أو تنويع برامج التدريس، بهدف التعامل تعليمياً مع أبناء جماعات الأقليات، التي يمكن إيجازها على النحو التالي:

١ التعليم ثنائي اللغة حيث يتعلم الطفل لغتين في الوقت نفسه بشرط أن يزداد ما يقدم إليه باللغة الإنجليزية تدريجياً على حساب ما يقدم إليه بلغته الأم، وذلك بهدف تمكينه من اللغة الإنجليزية، لكي تحل محل لغته الأولى تدريجياً.

٢ برنامج غمر أو انغماس الطفل حيث يتم تعليم الطفل باللغة الإنجليزية منذ البداية مع إهمال لغته الأولى وهذا النموذج أكثر انتشاراً في بعض مناطق كندا

٣ تعليم اللغة الثانية وهنا يتعلم الأطفال لغتهم الأولى ثم يلتحقون في جزء من يومهم الدراسي ببرامج تعليم اللغة الإنجليزية وهذا البرنامج يشجع انتشار اللغة الإنجليزية بطريق غير مباشر من خلال المدارس ووسائل الإعلام ويلقى هذا النموذج تشجيعاً من الولايات المتحدة أيضاً وتعتبر اللغة الثانية لغة إضافية يلجأ إليها المجتمع لتعدد اللغات فيه، كما هو الحال في الهند ونيجيريا مثلا وتستخدم اللغة الثانية لغة رسمية في دواوين الحكومة وفي التعليم والتجارة وفي المناسبات الرسمية التي تجمع كل الأقاليم، وهى ضرورة من ضروريات الحياة والتفاهم الاجتماعي وتعتبر الإنجليزية رائدة في هذا المضمار إذ أنها تستخدم لغة ثانية في هذه البلدان بسبب الإرث الاستعماري بالنسبة للدول العربية التي يختلف نظامها التعليمي الرسمي عن النماذج الثلاثة السابقة، فالنموذج المتبع في نظامها التعليمي هو نموذج تعليم اللغة غير العربية باعتبارها لغة أجنبية، وهي اللغة التي نتعلمها لقراءة المراجع الأجنبية، أو لكي نخاطب أهلها ونتفاهم معهم وننقل عنهم ما وصلوا إليه من تقدم وتكنولوجيا، أو لكي نتعلم علماً معيناً لا يكتب إلا بهذه اللغة مثل علوم الطب والهندسة، وقد نتعلم لغة أجنبية لأغراض خاصة كالسياحة والتجارة والصناعة إلخ ويعمد التربويون إلى التمييز بين تعلم اللغة الثانية واللغة الأجنبية على أساس مقدار اللغة التي يتعرض لها المتعلم ونوعها، فدارس اللغة الثانية يلتقطها من بيئتها التي تستخدم فيها للتواصل اليومي العادي، بينما يعتمد متعلم اللغة الأجنبية اعتمادا كلياً على عدد محدد من الحصص داخل الصف في

المدرسة ويزداد مقدار التعرض في بيئة اللغة الأجنبية أو يقل حسب الفرص المتاحة للمتعلم من حيث استخدام تلك اللغة في تدريس المواد الدراسية الأخرى، وقراءة الأطفال للمواد المكتوبة بتلك اللغة خارج الصف الدراسي، واستماعهم للوسائل المسموعة والمرئية الناطقة بتلك اللغة وفي ضوء ما سبق، يمكن النظر إلى بيئة اللغة الأجنبية كنهج يمتد من جانب إيجابي تتوفر فيه فرص التعرض السالفة الذكر، وتتقلص شيئاً فشيئاً لتنعدم تماماً في الجانب الآخر بحيث ينحصر تعرض الاطفال للغة الأجنبية في حصص معدودة في المدرسة فإذا حاولنا تحديد موقع ظروف تعلم اللغة لإنجليزية في البلاد العربية على هذا النهج، فسيكون في نهاية أو قرب نهاية الجانب السلبي الذي يسميه البيئة الفقيرة للاكتساب حيث لا يتعرض الأطفال للغة الأجنبية خارج الصف الدراسي،وعليه فلا غرابة أن يتحدث المعلمون والمهتمون بأمر التعليم الأجنبي عن ضعف مستوى الأطفال في تلك اللغات خاصة اللغة الإنجليزية.

وقد يصل مستوى هذا الضعف أحياناً إلى درجة أن ينتج الاطفال جملاً عربية بحروف إنجليزية، أو يتحولون من التحدث بالإنجليزية إلى العربية عندما لا تسعفهم حصيلتهم اللغوية، وهناك من يترجم حرفياً من العربية إلى الإنجليزية وتظهر آثار اللغة الأم في اللغة الأجنبية كنتاج طبيعي لعدم الكفاءة في الأخيرة فليس اللجوء إلى اللغة الأم سوى استراتيجية تعويضية، وما كثرة الأخطاء الناجمة عن تلك الاستراتيجية إلا مؤشر لعدم الكفاءة في ويرجع تدهور المستوى في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية لعدة عوامل أخرى منها دافعية

الاطفال وطرائق التدريس والمواد الدراسية وطبيعة الامتحانات ومستوى كفاءة المدرسين في اللغة المستهدفة.

وتعددت الدراسات والآراء التي تعارض إدخال اللغات الأجنبية في مناهج الدراسة الأولية، إذ يؤكد المعارضون على التأثير السلبي لتعلم اللغة الأجنبية في مرحلة الطفولة على اللغة الأم ومكانتها، لأن الازدواج في تعليم اللغة في هذه المرحلة غالباً ما يكون على حساب اللغة الأم، ويستندون إلى حجج وأدلة مستمدة من علم النفس التربوي والتطبيقات العملية والظروف المالية والإدارية للتعلم.

و لقد كان تعليم اللغات من اختصاص اللغويين دون غيرهم، إلاّ أن الدراسات التربوية والنفسية الحديثة فسحت المجال لعلماء النفس وأخصائيي التربية وغيرهم ممن اهتموا بدراسة النمو العام للطفل وعلاقته بعمليات النمو اللغوي وسيكولوجية التعلم- للبحث في مجال تعليم اللغات الأمر الذي أفضى إلى بروز نظريات حديثة تؤكد أن اللغة سلوك لفظي يمكن تعلمه عن طريق استثارة رغبة المتعلم كي يسلك هذا السلوك،وهى عبارة عن مجموعة متكاملة من الأنظمة والأصوات والتراكيب والأنماط تختلف عن مكونات غيرها من اللغات، إلاّ أن السن التي يجب أن يستثار عندها الطفل لتعلم لغة أجنبية بقيت قضية تثير كثيراً من الجدل وانقسم حولها المهتمون بها إلى عدة اتجاهات:

أ- إتجاه مؤيد يعلل المؤيدون دعوتهم إلى البدء بتعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة بكون الطفل في هذه المرحلة أقدر على اكتساب أكثر من لغة دون أن يؤثر ذلك على لغته الأصلية والسر في ذلك أن تكوين الطفل ونضجه العقلي في هذه المرحلة لا يرقى إلى عمليات التحليل والبحث، إذ لم تتجمع لديه بعد أدوات التحليل والمناقشة والفهم والنقد فهو يكتفي في هذه المرحلة بتلقي المفردات والمبادئ البسيطة ويقوم بحفظها دون تحليلها، يعتقدون أن تعلم لغة أجنبية لا يشكل تهديداً لتعلم الطفل لغته الأصلية.

ويؤكد محمد زياد حمدان أن التعليم الاجنبي للطفل في وقت مبكر جنباً إلى جنب مع اللغة الأم يفيد في تنمية الإدراك والإبداع الفكري لدى الطفل، ولا يشكل أي خطورة على نمو مهارات اللغة الأم لديه، بل يؤدي على عكس ذلك إلى ازدياد الطلاقة اللغوية لديه وقدرات الابتكار الخاصة باستعمالات اللغة الأم تفكيراً ولفظا وكتابة أما عالم اللسانيات الأمريكي ليونارد بلومفيلد فيقول: إن أحسن سن للبدء في تعلم لغة أجنبية هي بين سن العاشرة والثانية عشر؛ فإذا تم البدء في تعلم اللغة قبل ذلك فإن العملية التعليمية غالباً ما تكون بطيئة وغير مجدية أماً إذا تم البدء في تعلم لغة أجنبية عند المرحلة المذكورة، فبإمكان الطفل تعلم لغات أجنبية أخرى في مراحل لاحقة فالطفل يكتسب خبرة من خلال تعلمه اللغة الأجنبية الأولى ويقوم باستعمال هذه الخبرات لتعلم لغات أجنبية أخرى فيما بعد.

ب – إتجاه معارض:

والإتجاه الآخر يرى عكس ذلك حيث تقول الدكتورة هويدا فتحي بكلية رياض الأطفال بجامعة حلوان: يجب عدم تعريض الأطفال لأي لغة أجنبية في سن مبكرة، فالدراسات الدولية والمحلية في الماضي والحاضر أثبتت تفوق معدلات التحصيل الدراسي وارتفاعه لمن يدرسون بلغتهم الأم، على أقرانهم الدارسين بلغة أجنبية فالنمو اللغوي ضرورة لتنمية ذكاء الطفل، فالطفل لديه خمسين ألف دائرة عصبية عند الميلاد خاصة بنمو لغة واحدة وتعلمها، فإذا دخل للطفل لغتان على عقله يحدث له اضطراب ولا مانع من تعلم لغة أجنبية، لكن بعد إتقان اللغة الأم قراءة وكتابة، فبعض حالات التلعثم وتأخر الكلام في عيادات التخاطب تنتج عن تعلمهم للغة أجنبية في سن مبكرة ولا بد أن نعترف أيضا أننا أمام أهداف وأغراض سياسية لا يمكن أن نتجاهلها حتى وإن تسترت وراء المدارس والجامعات والمناهج التعليمية وأننا أمام عالم يحاول أن يفرض ثقافة واحدة فى ظل منظومة العولمة، ومحاولة دءوبة لطمس هوية الشعوب أمام حلم استعماري.

ويحتج معارضو البدء في تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة بوجود تأثيرات سلبية على تعلم اللغة الأصلية، فبعض الدراسات يشير إلى أن تعليم اللغة الأجنبية في المراحل الدراسية الأولى يمكنه التسبب في إهمال اللغة الأصلية، أو يؤدي إلى تداخل لغوي في ذهن الطفل وتعد سوريا أول الدول العربية التي قررت إلغاء تدريس اللغات الأجنبية من مناهج التعليم الاساس بحجة أن

تدريس لغة أجنبية في هذه المرحلة التعليمية يعيق تحصيل الطفل لغته الأم وهناك دراسة أخرى كويتية أجريت على عينات من الاطفال دارسي العربية والانجليزية معا وتمحورت حول أثر إدخال اللغة الانجليزية في مناهج التعليم الاساس على اللغة العربية أثبتت أن مهارات بعض الأطفال في لغتهم الأصلية اللغة العربية قد تدنت مع الإشارة إلى أن البحث اختار بشكل عشوائي عينتين متكافئتين من الاطفال، شملت المجموعة الأولى أطفالاً درسوا حتى الصف الثالث من مرحلة التعليم الأساسى دون التعرض إلى اللغة الأجنبية أي الانجليزية، فيما شملت المجموعة الثانية أطفالاً درسوا اللغة الانجليزية منذ السنة الأولى من مرحلة تعليم الأساس إلى السنة الثالثة منه وبعد المقارنة وتحليل النتائج، أظهر البحث أن الأطفال الذين لم يدرسوا اللغة الانجليزية بجانب اللغة العربية تفوقوا في تحصيلهم في مقرر اللغة العربية وكان الفرق بين تحصيل المجموعتين ذا دلالة إحصائية إذ أنه شمل جميع مهارات اللغة العربية مثل القراءة، الكتابة، القواعد والمفردات وتدن تحصيل جميع تلك المهارات لدى المجموعة الثانية أما بخصوص التداخل اللغوي، فأكد البحث هذه الظاهرة على أكثر من مستوى، فعلى مستوى التداخل الصوتي أكد ٣٥ %من المعلمين أن نطق الاطفال أصبح أسوأ مما كان عليه قبل إدخال اللغة الانجليزية بالاضافة إلى ذلك يقول عالم اللسانيات جون شومسكي إن البرامج التعليمية التي تتبنى أسلوب التعليم باللغة الأم ثم بلغة ثانية أجنبية فيما بعد قد أثبتت نجاحاً ملحوظاً في العديد من مناطق العالم كما أنها حققت نتائج إيجابية

هامة لأنها تقلل من آثار الصدمة الثقافية التي يتعرض لها الطفل عند دخوله المدرسة، وتقوى إحساسه بقيمته الذاتية وشعوره بهويته، وترفع من إحساسه بإنجازه على المستوى الأكاديمي، كما أنها تساعده في توظيف المهارات التي اكتسبها باللغة الأم في تعلم اللغة الثانية ويرى آخرون أنه من الثابت علمياً أن المتعلمين الأكبر سنا أفضل من حيث معدل سرعة تعلم اللغة الأجنبية وتحصيلها النهائي، بينما الصغار يتفوقون في نمو النظام الصوتي فقط أي صحة النطق غير أنه مشروط بضرورة الدراسة في بيئة لغوية أصلية حيث يستمع الطفل إلى اللغة من متحدثيها الأصليين ويمارسها معهم

وتفيد البحوث أيضا أن المراهقة المبكرة هي أفضل عمر لتعلم اللغة الأجنبية سواء من حيث سرعة التعلم أو التحصيل النهائي تدل على ذلك نتيجة البحث الذي شمل أطفالا كنديين انجليزيي اللسان، تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ سنة، كانوا يتابعون برامج للانغماس اللغوي متقدمة في تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، وهو البحث الذي أفاد بأن هؤلاء الأطفال قد أجادوا تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية بالمستوى نفسه الذي كان عليه أطفال المجموعة الثانية من ذوي الخلفية اللغوية نفسها الذين كانوا في برامج انغماس مبكرة في تعلم الفرنسية كلغة أجنبية ومن شرعوا في تعلم اللغة الأجنبية في مرحلة الحضانة، وتلقنوها بحجم يساوي ضعف الحجم الذي استفاد منه أطفال البرامج المتقدمة ومن هنا تبين أن الاعتقاد الشائع بأن الأطفال أكثر قدرة على تعلم اللغة الأجنبية من الكبار تبني على ملاحظات خاطئة إذاً فمسألة تفوق الأطفال في

التعلم لا تمس إلا الذاكرة الحركية هذه الحقيقة التي يؤكدها خبير من خبراء اللغة في أمريكا د دوجلاس براون، حيث يقول في كتابه مبادئ تعلم وتعليم اللغة ما نعرفه حق المعرفة هو أن الأطفال والكبار على حد سواء لديهم القدرة على اكتساب اللغة الثانية في أي مرحلة من العمر ويرى فريق أخر من الباحثين في الدول العربية أن قرار إدخال اللغة الأجنبية الانجليزية لأطفال مرحلة التعليم الأساسي يؤدي إلى مزاحمة اللغة الأم العربية التي مازالت تعاني قلة استيعاب الاطفال لها وضعف مستواهم فيها خلال هذه المرحلة الأولى من التعليم ويستند هؤلاء لما قررته نتائج بعض البحوث العلمية من خطر تعليم اللغة الأجنبية المبكر على اللغة الأصلية، التي تؤكد في الوقت ذاته أن النجاح في تعلم اللغة الأجنبية لا يعتمد على العمر وحده، إنما يتأثر بعوامل شتى منها أهداف تعليم اللغة الأجنبية واستراتيجيات التعليم،والسن التي يبدأ عندها التعليم فضلاً عن دافعية المتعلمين ومن بين هذه الدراسات البحث الذي أجري فى جامعة الزقازيق بمصر حول نوع التأثير الذي يحدثه التبكير بتعليم لغة أجنبية على مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأصلية، الذي توصل إلى أن مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأصلية يتأخر لدى الأطفال الذين يدرسون لغات أجنبية في سن مبكرة عن أقرانهم الذين لا يدرسون لغات أجنبية زيادة على ذلك، أجريت دراسة عام ١٩٩٨ لمعرفة ايجابيات وسلبيات تعليم اللغة الأجنبية فى مرحلة التعليم الأساس خلصت إلى أن أنسب صف لتعليم اللغة الأجنبية هو الصف الرابع الأبتدائى بعد أن يكون الطفل قد تمكن من مهارات

تعلم لغته الأم وفي عام ٢٠٠٣ نشرت دراسة في مجلة التربية جامعة أسيوط حول أثر الازدواج اللغوي على اكتساب أطفال مرحلة التعليم الأساسى لمهارات اللغة العربية وتحصيلهم اللغوي، وقد توصلت إلى أن ثنائية اللغة تؤثر بالسلب على المهارات اللغوية لدى الطفل وأجريت دراسات علمية بجامعة أكسفوردعن أثر العمر في تعليم لغة أجنبية خلصت إلى أن السن التي يشرع في تعلم اللغة الأجنبية فيها ليست عاملاً حاسماً في تعلمها، وأن الفروق التي وجدت بين متعلمي اللغة في أعمار مختلفة ليست نتيجة لعامل العمر، كما أن السن التي يبدأ فيها بتعليم اللغة الأجنبية يؤثر سلباً على التحصيل، و أكثر من ذلك كله أن تعلم الطفل لغة أجنبية في هذه السن المبكرة يكون له أثره السلبي على اللغة الأم ويعتبر عالم اللغة مستر ويست من أول الرافضين للتعليم الأجنبي فى ىسن مبكرة، يليه من العالم العربي عبد العزيز القوصي، مدير مركز اليونسكو للتربية في بيروت خلال الخمسينات، الذي طالب بإلغاء اللغة الأجنبية من مناهج مرحلة التعليم الأساسى في الدول العربية، وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى إلغائها فعلاً في مصر بعد يوليو ١٩٥٢م، كما سانده الرأي المربي العربي الكبير ساطع الحصري في قوله إن تعليم اللغة الأجنبية في مدارس الأساسى أمر يضر بمصلحة الطفل ويعرقل نموه الفكري ويحد منه، ويسوق الرافضون حججاً كثيرة لتعزيز وجهة نظرهم، وفيما يلي أبرزها:

١ إن الكبـار أقدر على تعلم اللغة الأجنبية من الأطفال.

٢ إن تعلم لغة ثانية عملية معقدة جداً تشترك فيها جميع قوى الطفل العقلية والنفسية والعضلية والعاطفية، وهي لاريب عملية مرهقة لصغار الأطفال، فالأطفال العرب يتعلمون فعلاً لغة ثانية هي اللغة العربية الفصحى.

٣ تمثل مرحلة الحضانة ورياض الأطفال ٣-٦ سنوات في علم النفس مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكون الأطفال فيها أكثر حاجة لتعلم لغتهم العربية الأصلية، والتمكن من أولياتها نطقاً وكلاماً ومخاطبةً وقدرة على التعبير اللغوي الصحيح، وما يرتبط بذلك من تدريب لعضلات اللسان والحبال الصوتية في بداية نموها وإذا ما أضيفت لغة أجنبية أخرى ليتعلمها الطفل إلى جانب اللغة العربية فإنها سوف تعرقل تقدمه في تعلم لغته الأصلية.

٥ إن النظام السطحي للجملة العربية يخضع لاعتبارات تنظيمية عدة تتعلق بنهايات الكلمات، وهذا بدوره يختلف عن الجملة الإنجليزية التي تعتمد على ترتيب المفردات والوحدات ترتيباً أفقياً.

٦ إن تدريس اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي سيزاحم مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية التي تشكل غالبية المناهج في تلك المرحلة، إذ أن الوقت المخصص لدراسة اللغة الأجنبية سيكون على حساب تلك المواد الأساسية.

٧ إن إدخال اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي يزيد من الهالة التي رسمت في عقول كثير من الآباء حول أهمية اللغة الإنجليزية، واقتران تعلمها بالمستقبل الجيد، وما إلى ذلك من أوهام.

٨ تدعو بعض الدراسات المختصة إلى تدريس اللغة عبر ثقافة اللغة المستهدفة وثقافة الناطقين بها.

٩ إن إدخال اللغة الأجنبية في سن مبكرة يزيد من أزمة النقص في مدرسي هذه اللغة، وما يترتب عليها من مشكلات.

اعتقادات شائعة:

لدى أولياء الأمور عن السن المناسب لاكتساب اللغة الأجنبية:

١. آراء الآباء في السن المناسب للبدء في تعليم اللغة الإنجليزية: وفى دراسة موسعة على بعض أولياء الأمور تبين أنه يعتقد ٧٠% من الآباء أن السن المناسب للبدء في تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال هو مرحلة الروضة أي قبل سن السادسة، في حين يرى ١٠% من الآباء أن السن المناسب لذلك هو الصف الأول الابتدائي، ويرى ١٥% أن السن المناسب هو الصف الرابع الابتدائي في حين يرى ٥% أن السن المناسب هو الصف الأول الاعدادى.

٢. مبررات تعليم اللغة الإنجليزية في سن مبكر من وجهة نظر أولياء الأمور أولياء الأمور:

يرون أن تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال أصبح ضرورة لأننا نعيش في عصر أصبح العالم فيه قرية صغيرة، واللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، ولأن اللغة الإنجليزية أصبحت من ضروريات الحياة ومتطلبات العصر، وهي لغة الكمبيوتر والتلفاز ووسائل الاتصال وكل شيء نرغب في الإطلاع عليه مكتوب باللغة الإنجليزية ويرى بعضهم أن اللغة الإنجليزية مفيدة أكثر من اللغة العربية لأنها تتيح لمن يعرفها فرصاً أفضل ومجالات أوسع وأشار الكثير من أفراد العينة إلى أن معرفة اللغة الإنجليزية من متطلبات النجاح في الحياة فالطالب الذي يتقن اللغة الإنجليزية مستقبله أفضل من الطالب الذي لا يتقنها، وتكون الحياة عليه أسهل.

ويعتقد الكثير من الآباء أن اللغة الإنجليزية تحتاج إلى تعليم ودراسة لأننا لا نمارسها في المنزل، وإذا لم يتعلمها الأطفال منذ الصغر سيصعب تعلمها في الكبر ويمكن أن ينسوها لذا يجب أن يعتادوا استخدامها منذ الصغر، حتى يشعروا بأهميتها وتعليم اللغة الإنجليزية للأطفال منذ الصغر سوف يعزز ثقتهم في أنفسهم.

اعتقادات شائعة حول العلاقة بين تعلم اللغة الأجنبية والسن:

يعتقد الكثير من الآباء أن السن هو العامل الرئيس في تعلم اللغة الأجنبية وأن لدى الأطفال قدرة خارقة على اكتساب لغة جديدة بسرعة وبمجهود قليل، في حين يجد الكثير من الأطفال الأكبر سناً والراشدين صعوبة في ذلك.

اعتقاد أن تعلم اللغة الإنجليزية في الصغر لا يؤثر سلبا على تعلم اللغة العربية:
تعتقد نسبة كبيرة من أفراد العينة في هذه الدراسة أن تعلم اللغة الإنجليزية في سن مبكر لن يؤثر سلباً على تعلم الطفل الصغير للغة العربية مثل الخلط بين اللغتين العربية والإنجليزية أثناء الحديث، والاستخدام الخاطئ لقواعد اللغة الأم، والخلط بين المذكر والمؤنث، وتخفيف الزوائد الصرفية في أواخر الكلمات العربية، وعدم القدرة على نطق الأصوات العربية كالعين والضاد والقاف والغين، الخلط في اتجاه الكتابة، وفي كتابة الأحرف والكلمات الإنجليزية والعربية، والميل إلى استخدام اللغة الأجنبية بدلا من اللغة الأم، ونسيان اللغة الأم بالتدريج.

<u>أهداف نشر التعليم الأجنبي بين المسلمين:</u>

من معجزات النبوة الظاهرة، وآثارها الباهرة، الحديث المتفق على صحته كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ومن مآثر علماء المسلمين المشكورة، العمل على تلقين عامتهم وأولادهم هذا الحديث، وقاية لهم في فطرتهم ودينهم، وحماية لهم من الضلال لذا صار حقاً أن احتضان الصغار وتعليمهم قبل تشكلهم بالإسلام علماً وعملاً، هو البيئة الخصبة للقاح الأول في توجيههم نحو الخير أو الشر؛ ولهذا استعمل المنصرون من عباد الصليب وغيرهم من أرباب الكفر هذه الخاصية فعملوا عملهم بالاستعمار العقلي والفكري والثقافي والعقدي في العالم الإسلامي، وسعوا جادّين إلى فتح المدارس الاستعمارية في بلاد المسلمين، وزرعها هنا

وهناك فى أرض الإسلام لنشر حقدهم الأسود لإفساد العقائد والعقول، بداية من رياض الأطفال إلى نهاية التعليم الجامعي، أوكاراً ومصايد يتصيدون بها من ضعفت عقولهم، أو مرجت عهودهم، أو من عضّهم الفقر بنابه، أو من أوقعهم سوء حظهم في قبضة هؤلاء الضالين كل هذا لغاية الغايات لديهم تحويل المسلمين بردّة شاملة عن دينهم الحق: الإسلام ولو لم يكن من مساوئها: إلا تقليب النظر من أولاد المسلمين في وجوه الكافرين من المدرسين والإداريين، والتلاميذ والأمة الإسلامية هي الأسوة الحسنة لأهل الأرض، فإذا ما داخلها التعليم الأجنبي عنها، فسيصيبها غربة في دينها، وغياب في أخلاقها، ولغتها، وآدابها، واحتقار لتاريخها في ماضيها وحاضرها، وانشطار في وحدتها وآليات حياتها، وفرقة بعد اجتماع، وخلاف بعد وفاق وتَسلُّم قيادتها من جيل جديد، هو على الأقل: مسلم بالاسم، وعقد النكاح، وتسجيل المواليد، أجنبي في اللسان، والذوق، والرأي، والتفكير، يسهم في قتل روح أمته وطمس جوهرها.

ألا إن هذه الموجة الطاغية التي أجتالت العالم الإسلامي جلب: التعليم الأجنبي لتثقيف ناشئتها هي في الحقيقة مؤامرة على الدين والأخلاق والمروؤات واللغة والتاريخ، فلعنة الله على الظالمين الذين يبغونها عوجاً وبالآخرة هم كافرون واليوم أقبلت أمم الكفر على فتح هذه البيوت المظلمة المدارس الاستعمارية في قلب بلاد العرب قائمة على تعصب ديني وتثقيف قومي في اللسان والتاريخ، فكل مدرسة تُعنى بدين بلادها، ولغتها، وتاريخها، ومقومات حياتها، تلقنها طلاب مدارسها،وتسعى بواسطتهم لنشرها بين أهليهم وهذه

بالطبع تفضي إلى آثار مدمرة في: اللغة، والتاريخ، والدين أما في اللغة: فهذه المدارس المظلمة مِهادٌ لنشر التثقيف القومي بلسانها ولغتها، ولضرب الحصار الثقافي اللغوي على عقلية الجيل المسلم باستعمار لسانه بالرطانة الأعجمية، ومعلوم أن كل لغة تحمل فكر الناطقين بها، ففي تغليب اللغة الأجنبية على اللغة العربية لتدريس المواد، بثٌّ للفكر الأجنبي في عقول الناشئة، وهذا يفضي إلى الآثار الآتية:

١ إن فرض اللغة الأجنبية لتعليم المواد الدراسية، هو في حد ذاته اقتحام للحصن الإسلامي اللغة العربية بإبعاد مظهرها شعاراً لأهل الإسلام، وحجبها عن لسان الناشئة، وكم في هذا من إضعافها وتبغيضها في نفوسهم؛ بل عزل لهم عن إسلامهم، فإنه إذا حيل بين المسلم ولغته لغة القرآن، تم عزله بطبيعة الحال عن إسلامه وأمجاده، وحضارته، وأول ما ينزع منه اعتقاده في كتاب ربه القرآن العظيم.

٢- نتيجة لتدريس المواد بغير العربية، يتكون لدى الطالب عقدة الإحساس المعمق بقصور لغته عن تدريس العلوم الحديثة، ثم قطع صلة هذه العلوم بالإسلام ولغته العربية.

٣- ثم أنفة الشباب المسلم من لغتهم وآدابها، وزهدهم فيها حتى لا يعلموا منها إلا ما يعلمه العامي منها، وهذا سبب فعّال في تدهور اللغة العربية وحجب شيوعها واستعمالها.

٤- ومن الآثار وجود استعداد تام لدى عامة هذا النشأ المسلم إن كان بقي له شيء من إسلامه الذي تربّى في هذه المدارس الأجنبية بتصويب السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، وأصبحت عنده حساسية مفرطة ضد من يخطئ في اللغة الأجنبية التي تلقنها،وهذا الوضع المزري ينتقل بالطبع إلى كل ما هو مكتوب باللغة العربية وأعظم ذلك القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، فلا يحسن قراءته فضلاً عن فهمه وتدبره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـرحمه الله تعالى- في: اقتضاء الصراط المستقيم: (ص/٣٠٦-٣٠٧) : واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، واللغة، والدين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل، والدين، والخلق وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، وفهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية.

obeikandl.com